AL-AZHAR UNIVERSITY
BULLETIN OF THE FACULTY
OF
LANGUAGES & TRANSLATION

جامعة الأزهر
مجلة كلية اللغات والترجمة

الهوية في الديوان السواحيلي "Jicho la Ndani" البصيرة؛ للشاعر والأديب التنزاني سعيد أحمد محمد

"دراسة تحليلية نقدية"

أحمد خلف أبو الفضل حجازي
قسم اللغات الإفريقية وآدابها
كلية اللغات والترجمة
جامعة الأزهر

الهوية في الديوان السواحيلي "Jicho la Ndani" البصيرة؛
للشاعر والأديب التنزاني سعيد أحمد محمد
"دراسة تحليلية نقدية"

أحمد خلف أبو الفضل حجازي
قسم اللغات الإفريقية وآدابها، كلية اللغات والترجمة، جامعة الأزهر، القاهرة، مصر.
البريد الإلكتروني: Altahtawy35@gmail.com

الملخص:
أصبح السؤال المتعلق بالهوية يأخذ مكانًا محوريًا في اهتمامات كثير من الشعوب، في زمن اتسم فيه النظام الدولي بما يسمى بالعولمة التي أحدثت ردة فعل عنيفة لدى بعض من استشعر خطرها الداهم إذا ما تم استخدامها بمفهومها السلبي الذي يهدف إلى القضاء على الهويات الثقافية للمجتمعات المستضعفة، لينخرط الجميع تحت مظلة ثقافة واحدة مهيمنة، وذلك بغرض السيطرة على الشعوب وإخضاعها لقوة عظمى أقوى اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً. ومن هنا جاء اهتمام الشعوب الإفريقية، بموضوع الهوية والحفاظ عليها، هذا الأمر الذي أصبح حيوياً لتلك الشعوب ويرتبط أساسًا بكينونتها ووجودها. والأدب في مقدمة الوسائل التي من خلالها يمكن أن تتم المحافظة على الهوية لما يؤديه الأدب من دور تفاعلي في المجتمع بشكل عام، ولما يمثله هو ذاته من كونه رافداً من روافد الهوية الثقافية والاجتماعية للشعوب. انطلاقًا من ذلك، بادرت إلى استكشاف كيف تفاعل الشعر كجنس من أهم الأجناس الأدبية مع هوية المجتمعات والشعوب الإفريقية من خلال دراسة أحد أشعار ديوان "Jicho la Ndani " " البصيرة" للشاعر التنزاني سعيد أحمد محمد.

الكلمات المفتاحية: الهوية – "Jicho la Ndani" البصيرة – سعيد أحمد محمد – الهوية الفردية – الهوية القومية.

Identity in the Swahili Divan "Jicho la Ndani" insight; Tanzanian poet and writer Saeed Ahmed Mohamed "A critical analysis study"

Ahmed Khalaf Abu Al-Fadl Hegazy
Department of African Languages and Literature, Faculty of Languages and Translation, Al Azhar University, Cairo, Egypt.
Email: Altahtawy35@gmail.com

Abstract:
The question of identity has a central role in the concerns of many peoples, at a time where the international system has been characterized by the so-called globalization, which caused violent reactions among some of those who feel its imminent danger if used in its negative concept, which aims to eliminate the cultural identities of vulnerable societies and involve everyone under the umbrella of one dominant culture, with the aim of controlling peoples and subjecting them to a stronger economic, political and military superpower. Hence, the African peoples concerned with the issue of identity and how to preserve it, which has become vital for these peoples and is mainly related to its existence and survival. Moreover, literature is one of the first means through which identity is preserved due to the interactive role it plays in society in general and what it itself represents as an element of the cultural and social identity elements of peoples. With this in mind, we were motivated to explore how poetry, as the most important literary genres, interacted with the identity of African societies and peoples through a study of the most important poems of the collection " Jicho la Ndani""the inside eye" by the Tanzanian poet Said Ahmed Mohammad.

key words: Identity- "Jicho la Ndani" "the inside eye"- Said Ahmed Mohammad – Self Identity – National Identity.

المقدمة

إن مفهوم الهوية من أكثر المفاهيم عرضة للالتباس وعدم الثبات من حيث الدلالة، وذلك لكثرة تعريفاته وتداخل مفاهيمه، ونظراً لتعلقه بمجالات معرفية كثيرة؛ سياسية، ولغوية، وفلسفية، ونفسية، واجتماعية، ودينية... ولم أجد لمصطلح الهوية تعريفاً يحدده ويستوعب طاقته الدلالية. فأدى ذلك إلى تنوع مجالات هذا المصطلح وصارت هناك هويات عديدة منها: الثقافية، والاجتماعية، والفردية، والفلسفية... وغيرها من المسميات التي تندرج تحت موضوع شامل هو الهوية.

والهوية هي الذاتية والخصوصية وهي القيم والمثل والمبادئ التي تشكل الأساس للشخصية الفردية أو المجتمعية، وهوية الفرد هي عقيدته ولغته و ثقافته وحضارته وتاريخه، وكذلك هوية المجتمع فهي الروح المعنوية و الجوهر الأصيل لكيان الأمة. الهوية أيضاً هي الوعي بالذات اجتماعيا وثقافيا، وهي ليست ثابتة وإنما تتغير تبعا لتغيرات الواقع، بل لا نبالغ إذا قلنا إن هناك داخل كل هوية هويات متعددة بمستويات مختلفة، فالهوية لها معان عدة ومفاهيم متنوعة أدبياً وفلسفياً ونفسياً واجتماعياً[1]. ونظراً لأن البحث يُعْنَى باللغة السواحيلية وآدابها؛ لذا سنعرض فيما يلي مفهوم الهوية في اللغة والأدب السواحيلي:

مفهوم الهوية في الأدب السواحيلي:

مصطلح الهوية في السواحيلية هو: كلمة (Utambulisho)/ (Ujitambuaji)، ويعني في المعجم السواحيلي:

"Tendo la kujuilisha watu, vitu n.k"[2]

---

[1] محمد سبيلا، **مدارات خطاب الهوية**، ندوة علمية تحت عنوان: الهوية والتقدم، جامعة الزيتونة، المعهد الأعلى لأصول الدين، تونس، أبريل1993م، صـ 43، بتصرف.

[2] وائل نبيل إبراهيم عثمان، **الهوية الثقافية في شعر شعبان روبرت**، بحث منشور في المؤتمر الدولي "التنمية الثقافية المستدامة وبناء الإنسان" ، المجلس الأعلى للثقافة، وزارة الثقافة، القاهرة، يناير 2019م، صـ2.

إجراءالتعريف بالأشخاص، أو الأشياء، إلخ.

لم توفر المعاجم السواحيلية معنىً متعمقاً للهوية، إذ لم يدرج في معجم المصطلحات الأدبية لواميتيلا (K.W.Wamitila) على سبيل المثال؛ وذلك قد يكون بسبب أن مصطلح الهوية ليس مصطلحاً أدبياً بالمفهوم الصريح، فهو مصطلح اجتماعي، فلسفي، نفسي، دخل بقوة في مجالات عدة؛ سياسية، واجتماعية ودينية، وقومية، وعرقية، وأيضاً فردية؛ كهوية الرجل والمرأة والطفل.... الخ، بينما تم إدراج أحد مشتقات الكلمة، والتي تختص بمعرفة الذات وتمييزها، وإدراك هوية الفرد لنفسه، والتمسك بها، وذلك في مصطلح "Ujitambuazinafsi" "الهوية الذاتية" كما ترجمها واميتيلا إلى اللغة الإنجليزية في ذات المعجم بـ"Self–Identity"[(3)]:

*"**Ujitambuzinafsi:** Hali ya kuweza kujitambua Kama mhusika au kiumbe binafsi katika muktadha wa jamii. Hii ni dhana muhimu katika uhakiki wa kifasihi wa siku hizi (hasa uhakiki wa ki-baadaukoloni) hasa kwa kuzingatia kuwa katika historia za jamii zilizotawaliwa palikuwako juhudi za kuwafanya watawaliwa au wanyonge na wote waliowekwa pembezoni wasijithamini. Ujitambuzinafsi ni hatua mojawapo ya ukombozi kama kiumbe*."[(4)]

الهوية الذاتية: القدرة على إدراك الذات كشخصية أو مخلوق بعينه في سياق المجتمع. إنه مفهوم هام في النقد الأدبي حالياً (خاصة النقد ما بعد الإستعمار) خاصة باعتبار أن في تاريخ المجتمعات التي تم احتلالها كانت الجهود تبذل لجعل الذين تم استعمارهم والضعفاء وكل المهمشين غير مقدرين لأنفسهم. الهوية الذاتية هي خطوة من بين خطوات الحرية كمخلوق.

هنا نجد أن واميتيلا قد ركز على مسألة تخص النقد الأدبي الحديث، خاصة ما بعد الاستعمار، حيث بدأت الثورة ضد التبعية، والمناداة بالحفاظ على الهوية الذاتية، والثقافية

نقلا عن معجم:

Ndalu, Ahmed E. na wengine, ***Kamusi Teule ya Kiswahili***, Toleo la Kwanza, Focus Publications Ltd, Kenya, Nairobi, 2014, uk. 702.

([3]) K.W.Wamitila, **Kamusi ya Fasihi Istilahi na Nadharia**, Focus Publications Ltd, Nairobi, Kenya, 2003, uk.379.

([4]) Ibid, uk.282.

والاجتماعية لتلك المجتمعات الإفريقية التي تعرضت لمحاولات طمس هويتها واستغلال ثرواتها، وذلك من خلال خلخلة الثوابت، وإضعاف الثقة في النفس، والتقليل من قيمة الفرد والمجتمع أمام قوة وسلطة وتقدم الدول المستعمرة.

وتظل كلمة "Utambulisho" هي الكلمة الدالة على معنى الهوية وهي مشتقة من الجذر "Tambu-a" والذي يعني "تعرف على / ميز / وعى/ أدرك" وكلها أفعال تختص بتحديد هوية شيء ما، وإدراك كنهه:

*"**Tambua**: fahamu au elewa jambo Fulani; jua, maize, (met)(*) Mtambua ndwele ndiye mganga.)5(*

فهم أو إدراك أمر ما؛ معرفة، تمييز، (كالمثل السواحيلي) من يميز الداء هو حقًا الطبيب.

وهكذا نجد أن الهوية كمصطلح لم يتم التأصيل له بطريقة متخصصة، نظراً لرحابة معنى المصطلح، ومرونته التي جعلته متشابكًا مع كثير من المجالات، وله أثر هنا وهناك، ودلالات متعددة تبعًا لكل مجال يوجد فيه، وهذا المعنى هو ما أشار اليه "مسانجيلا" "Msanjila" وهو لغوي سواحيلي متخصص في علم اللغة الاجتماعي، وله كتاب يدرس في الجامعات والمدارس الثانوية تحت عنوان "Isimujamii" " علم اللغة الاجتماعي"، وذلك في قوله:

*"**Utambulisho** ni dhana pana kwa maana kwamba imebeba mambo mengi ndani yake. Mambo haya ni kama vile utamaduni, mila na desturi, lugha, historia ya jamii, mavazi, chakula, siasa, imani, na uchumi. Mambo haya ni baadhi tu ya vibainishi vya utambulisho wa mzungumzaji au jamii kwa jumla. Kwa lugha nyepesi, utambulisho ni ubainisho unaomdhihirisha mzungumzaji fulani kuwa yuko tofauti na mzungumzaji mwingine au jamii fulani iko tofauti na jamii nyingine Utambulisho wa mzungumzaji ni upekee alionao mzungumzaji katika kuitumia lugha yake. Hali kadhalika, utambulisho wa jamii ni ule upekee wa jamii*

(*) met. = kama mithali ya kiswahili

(5)*Mdee, James Salehe na wengine, **Kamusi ya Karne ya 21**, Nairobi, Longhorn Publishers, Chapa ya kwanza, Toleo la pili,2011, uk.386.*

unaobainishwa kwa misingi ya kitamaduni ambayo iko tofauti na misingi ya tamaduni za jamii nyingine."[6]

" الهوية مفهوم واسع بمعنى أنه يحمل في طياته أمور كثيرة، هذه الأمور مثل الثقافة، والعادات، والتقاليد، واللغة، وتاريخ المجتمع، والملبس، والمأكل، والسياسة، والإيمان، والاقتصاد. هذه الأمور هي بعض من التي توضح هوية المتحدث أو هوية المجتمع بشكل عام. بلغة بسيطة، الهوية هي التي تظهر أن متحدثاً ما يختلف عن الآخر أو أن مجتمعاً ما يختلف عن غيره. هوية المتحدث هي ذلك التفرد الذي يشعر به المتحدث عند استخدام لغته. وبالمثل، فإن الهوية الاجتماعية هي تفرد المجتمع الذي يظهر في المعايير الثقافية والتي تختلف عن المعايير الثقافية للمجتمعات الأخرى. "

المجتمع مصدر من مصادر تحديد الهوية لدى الفرد، بلغته، وثقافته؛ المتمثله في عاداته، وتقاليده، وتراثه الشعبي...الخ، لذا نجد بروسبر تيوفيل (Prosper Theophil) فيما يتعلق بهوية الشخص في نطاق مجتمعه، يقول:

"... jamii ndio chanzo cha utambulisho. Kila jamii ina mila, desturi na utamaduni ulio tofauti na jamii nyingine zinazojenga utambulisho wa jamii husika"[7].

...المجتمع مصدر الهوية. كل مجتمع له عاداته وتقاليده وثقافته المختلفة عن المجتمعات الأخرى والتي تأسس الهوية الاجتماعية الخاصة به.

إن الهويات الاجتماعية تصنع وتتشكل بواسطة الأفراد أنفسهم، وهي أمر مكتسب ويجتهد في الحصول عليها، تنتج ويعاد إنتاجها من خلال التفاعل الاجتماعي[8]. هذا التفاعل الاجتماعي الذي يتحكم فيه أفراد المجتمع، فتتحد هوياتهم الفردية نفسية كانت أو جسدية مع الهوية الاجتماعية التي لا تخص فرداً بعينه، بل مجموعة كبيرة من الأفراد والتي يمكن أن

(6) Yohana P. Msanjila, ***UTATA WA KUTUMIA LUGHA KAMA KIBAINISHI CHA UTAMBULISHO WA MZUNGUMZAJI***, SWAHILI FORUM 18, 2011, uk.87.

(7) Prosper Theophil, **Matumizi ya Lugha Na Utambulishi Wa Jamii Ya Wahaya Yaishio Dar Es Salam**, Tasinifu ya M.A. Kiswahili, Chuo Kikuu cha Dar es Salaam ,Septemba, 2012, uk.**2.**

8 محمد سبيلا، **مدارات خطاب الهوية**، مرجع سابق، صـ67، بتصرف.

نطلق عليها كلا من الهويتين: الهوية الوطنية، والقومية في مقابل الهوية الفردية. وقد أشار **فرانسيس جيتشيني جيتشوي** "Frances Gichini Gichohi" إلى هذا المعنى؛ بقوله:

*"**Utambulisho au ujitambuaji** ni ile hali ya kujihisi, kung'amua au kubaini kuwa sawa na wengine na kuwa tofauti na wengine kwa misingi ya lugha, utamaduni, siasa, rangi, na maisha ya kila siku kwa ujumla. Kuna utambulisho wa kibinafsi, wa kijamii na wa kitaifa. Utambulisho wa kitaifa ni pale ambapo jamii itajihisi kuwa na mawazo sawa, mitazamo sawa, hulka sawa na siasa sawa. Mambo haya wanayabaini kupitia kwa masomo, siasa, michezo na shughuli za kila siku."*[9]

الهوية أو الوعي الذاتي هي حالة الشعور بالذات، الإدراك أو التمييز بالمساواة مع الغير والإختلاف مع الغير على أسس اللغة، والثقافة، والسياسة، واللون، والحياة اليومية بصفة عامة. هناك هوية فردية، واجتماعية، ووطنية. والهوية الوطنية هي حيث سيشعر المجتمع بأن له نفس الأفكار، نفس الرؤى، ونفس السمات، ونفس السياسة. تظهر هذه الأمور عن طريق الدراسة، والسياسة، والرياضة، والأنشطة اليومية.

إن تحديد الهوية يستند إلى سمات، تلك السمات هي التي تحدد علاقتنا بالأشياء، والآخرين، والعالم ككل؛ منها على سبيل المثال: الدين، الجنس، اللغة، الانتماء، اللون، الجغرافيا، الصفات الجسدية....إلخ، ونظرًا لأن الأدب السواحيلي هو نتاج هذا المجتمع الذي تأسس على اللغة السواحيلية، فسيلقي البحث الضوء على مسألة الهوية في أشعار سعيد أحمد محمد أحد أهم الأدباء السواحليون من خلال دراسة ديوان "Jicho la Ndani" البصيرة .

سعيد أحمد محمد، حياته وأعماله:

يعد سعيد أحمد محمد خميس أحد أشهر الكتاب في الأدب السواحيلي بأجناسه المتنوعة؛ كتب في الرواية والمسرح والقصة القصيرة وكذلك الشعر، انطلقت هويته الأدبية من معين ثقافة سواحيلية خالصة؛ فهو من مواليد جزيرة بمبا بزنجبار، دولة تنزانيا في 12 ديسمبر عام 1947م. انفصل أبواه في مرحلة مبكرة من طفولته مما جعل رعايته والقيام على تربيته تقع

([9]) Francis Gichini Gichohi, **UTAMBULISHO WA MWANAMUME KATIKA METHALI ZA JAMII YA AGIKUYU**, Shahada ya Uzamili Katika Kiswahili, Chuo Kikuu cha Egerton, NJORO, Aprili, 2018, uk.2.

على كاهل خالته، السيدة جوخانا وجدته السيدة رقية. بدأ سعيد أحمد محمد مسيرته التعليمية في مدارس تعليم أساسي عديدة بيمبا، وأونجوجا (زنجبار) حتى التحق بالصف التاسع، ثم في معهد لومومبا بأونجوجا أتم دراسته الثانوية عام 1966م. حصل بعدها على شهادة التعليم للمرحلة الثانوية بمدرسة كمبريج بأونجوجا في عام 1967م. وفي عام 1968م التحق بجامعة نكروما العالمية بأونجوجا والتي أنهى دراسته بها عام 1972م. وقد خاض اختبار الصف السادس ونجح في كل المقررات التي تم اختباره فيها وذلك قبل أن يلتحق بجامعة دار السلام ليحصل على شهادته الجامعية (البكالوريوس) والتي حصل عليها عام 1974م. وقد انهى رسالة الماجستير في ذات الجامعة في الفترة من 1974م وحتى 1981م، وقام بالتدريس في قسم اللغة السواحيلية في نفس الجامعة، وفي الفترة من 1982م وحتى 1985م التحق بجامعة ليبزج (Leipzig) بدولة ألمانيا وذلك للحصول على شهادة العالمية (الدكتوراه)، وبعد الحصول عليها عاد ليعمل في مركز اللغة السواحيلية واللغات الأجنبية (Taasisi ya Kiswahili na Lugha za Kigeni) بزنجبار كمدير للمركز.

قام سعيد احمد محمد بتدريس اللغة السواحيلية في العديد من الجامعات منها: جامعة نيروبي "Nairobi" وجامعة موي "Moe" بدولة كينيا وجامعة أوساكا "Osaka" و جامعة بايرويث "Bayreuth"، بدولة ألمانيا والتي يعمل بها مُحاضراً في اللغة والأدب السواحيلي[10].

نشر سعيد أحمد محمد العديد من المؤلفات السواحيلية؛ اللغوية والأدبية، وكذلك في النقد الأدبي، وقد دارت كتاباته حول الحداثة في الأدب السواحيلي وخاصة في الشعر والتحرر من قيود الوزن والقافية، وجعل تلك القواعد الشعرية التقليدية بالخيار طالما تؤدي المطلوب من النظم وهو إيصال الفكرة والرسالة بسهولة ويسر، وكذلك في الرواية والقصة القصيرة، كما بحث في موسيقى الطرب وله أيضا مؤلفات في النقد الأدبي، فهو أديب سواحيلي متعدد

([10]) Munyao, Meshack Kimeu: **Uhuru wa Kishairi Katika Utunzi wa Mashairi: Uchanganuzi wa Sikate Tamaa Na Miale Ya Uzalendo**, tasnifu ya kutosheleza baadhi ya mahitaji ya uzamili katika Kiswahili, idara ya Kiswahili na lugha za kiafrika, chuo kikuu cha Kenyatta, Nairobi, Kenya, 2011, uk. 25,26.

المواهب، وبالنسبة للأعمال الشعرية كتب سعيد أحمد محمد العديد من الأعمال الشعرية منها: ديوان "Sikate Tamaa" "لن أيأس" عام 1980م، وديوان "Kina cha Maisha" "جوهرالحياة" عام 1984م، وديوان "Jicho la Ndani" " البصيرة" عام 2002م.[11]

إطلالة على ديوان "Jicho la Ndani" البصيرة:

البصيرة ديوان للشاعر سعيد احمد محمد يبحث في قضايا متنوعة نفسية تخص باطن الشاعر وما يشعر به من أحاسيس ومشاعر، ومحلية تخص كذلك البيئة المحيطة بالشاعر، وعالمية تخص العالم بأسره؛ فنجده يتناول مواضيع مثل نصرة المستضعفين. المقهورين من السلطة الظالمة، وقضية الظلم من الزعماء، والنفاق، وصرخات الضعفاء في طبقات المجتمع المختلفة اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا، وأيضا موضوع الهوية الجنسية...فالشاعر يبحث ببصيرته ويستكشف ويتفكر بعمق في بيئته من حوله بعناية وتمعن وتدبر؛ تلك البصيرة التي ترى الأمور وتبحر في مغزاها ومعانيها الخفية، وليس ما تراه العين المجردة فقط، فالعنوان " Jicho la Ndani" يذهب بنا إلى معان كثيرة، فهو دعوة للنظر إلى داخل الذات، إلى تفحص الباطن، إلى النظر بعمق للنفس البشرية، نفسي أنا كفرد من أفراد الوطن، أو فرد من أفراد هذا الكون الفسيح، وكما يقول سعيد أحمد محمد في مقدمة الديوان:

"Jicho la ndani ni anwani inayokwenda pande kadha. Kimaudhui inaashiria namna gani najitazama ndani ya nafsi yangu, mimi kama raia wa Tanzania na raia wa kimataifa. Ndani, najaribu kuzama katika nafsi yangu nikimulika hisia zangu za kiutu, za kiuraia katika upeo mfinyu na mpana- dhiki, raha(kama ipo), furaha, shida, uvumilivu, kukata tama, kufa na kufufuka…"[(12)]

[11] محمود عبدالواحد عبدالحليم، **القضايا الاجتماعية والسياسية في روايات سعيد أحمد محمد** "**دراسة نقدية**"، رسالة ماجستير، قسم اللغات الإفريقية، كلية اللغات والترجمة، جامعة الأزهر، القاهرة، 2017م، صـ 28، 42.

([12]) Mohamed, Said Ahmed, **Jicho la Ndani**, Longhorn Publishers, Nairobi, 2002., uk. ix.

البصيرة هي عنوان يجول في أنحاء متعددة. فموضوعياً يبين كيف أرى نفسي من داخلها، أنا كمواطن تنزاني، وكمواطن على المستوى الدولي. في الداخل أحاول أن اغوص في أعماق نفسي ملقياً الضوء على مشاعري الإنسانية، والوطنية على الصعيد المحدود وغير المحدود من عسر ويسر (إن وجد)، ومن فرح، وضيق، وتحمل، ويأس، وموت، وبعث ...

يريد الشاعر القول بأن أخطر الأمور التي جناها الإنسان على نفسه وعلى غيره سببها هو غياب البصيرة من القلوب، فزاد الشقاء وحلت التعاسة في حياتنا والكوارث، حيث يقول في قصيدة "Jicho la Ndani" البصيرة:

Waona 'ni cha kuona	هل ترى ما يُرى
Kwenye mboni za maoni?	في قاع العين
Mwenye jicho la kuona	يا ذا العين المبصرة
Kina juu na angani	بعمق فوق السماوات
Si huu uliofana	أليس هذا الذي أتقنت
Uzuri us'o kifani?	جمالاً لا مثيل له؟
Samawi yamemetana	اللون الأزرق يتلألأ
Na weupe kweupeni	والأبيض ناصع
Mbingu imetulizana	السماء ذات بهجة
Kama sura ya peponi	كصورة الجنة
Mwanzo na mwisho haina	ليس لها بداية ولا نهاية
Imekithiri thamani	
Pole imetulizana	
Doa hutalibaini	
Ila itazame sana	
Picha kwa jicho la ndani	
Ndani kinafichamana	

وتزداد في القيمة	*Kingi kingi kisirani*[13]
بهدوء قد سكنت	
لا تبدو عيزبها	
إلا إن تأملناها بإمعان	
في الصورة بعين البصيرة	
شيء داخلها يتوارى	
يغمره سوء الطالع	

في ديوان البصيرة يتوسع الشاعر بدرجة كبيرة في الموضوعات التي يتناولها، فهو لا يتناول فقط قضايا الظلم ومقاومة الفساد وتشجيع الناس للثورة ضد كل ما هو سلبي، بل يتطرق أيضا للحب والوصايا ومواكبة العصر والحداثة، وكذلك موضوع التنمية الاقتصادية، والعدالة الاجتماعية، ومراعاة حقوق الإنسان والمساواة بين جميع أطياف الشعب، وكذلك مراعاة وضع المرأة وإعطائها حقوقها وحريتها في الاختيار.

الهوية الفردية في ديوان "Jicho la Ndani" البصيرة:

الهوية الفردية هي منظومة القيم والأفكار الخاصة الحاكمة لتفكير وسلوك الفرد والتي ترسم ملامح شخصيته المميزة له عن غيره من الأشخاص.[14] وفي ديوان البصيرة لسعيد أحمد محمد تكمن خصوصية الهوية الفردية في كونها تحمل صوت الشاعر ببعده الذاتي والفردي المعبر عن رؤيته الخاصة، عن إحساسه الداخلي، عن توجهه الفكري والفلسفي والتأملي تجاه

13 المرجع السابق، صـ1.

14 هارلمبس (Haralambos)، هولبورن(Holborn)، **سوشيولوجيا الثقافة والهوية**، ترجمة حاتم حميد محسن، دار كيوان للطباعة والنشر، دمشق، سوريا، 2010م، صـ105، بتصرف.

جميع الأمور والأحداث من حوله تجاه الكون، والذات، والموت، والحياة، والمرأة...(الخ). في هذا الديوان نجد سعيد أحمد محمد ملتفتا إلى صوت الذات لديه، منفتحا على الحياة بكل ما فيها من موضوعات، وعناصر، ومشاهدات، وظروف، فكما عبر عن هويته الشعرية، وتوجهه الشعري في نظم قصائده، نجده قد حاول بشعره الوصول إلى معرفة ذاته ونفسه، ونجده أيضا يدافع عن هويته الريفية البسيطة في قصيدة "Mshenzi" البدائي، والتي تحدث فيها عن قضية التمييز بين أهل الريف، وأهل المدن الذين يعتقدون أنهم أكثر تحضرا ومدنية من أهل القرى " Washamba" ورؤيتهم الذاتية لأهل الريف على أنهم بدائيون، فنجده يخبرنا بأن تصرفات أهل المدينة هي البدائية بعينها، لأن أفعالهم وتصرفاتهم لا تصدر من متحضر، كالأنانية، والحقد، ونقص الإيمان، فأهل الريف مؤمنون، صادقون، أهل كرم وضيافة. هذه أمور وصفات تجعلهم يستحقون أن يطلق عليهم أهل ثقافة وحضارة، وهذا ما اشتملت عليه قصيدة " Mshenzi" "البدائي" وهي قصيدة من نوع الشعر الحر يقول الشاعر في مقدمتها:

Mshenzi mimi,	*بدائي أنا،*
Ndiyo mshenzi!	*نعم بدائي!*
Mjinga mimi,	*جاهل أنا،*
Mpumbavu n'naungama,	*غبي واعترف بذلك،*
Nikijua mstari mwembamba	*إذ عرفت الخط الرفيع*
Baina ya ushenzi	*بين البدائية*
Na ustaarabu![15]	*والحضارة!*

([15]) Said Ahmed Mohamed, Op.Cit., uk:10.

في الأبيات السابقة يعترف الشاعر (جدلاً) بكونه بدائياً لكنه يضع علامة تعجب، فيا من تتهمني بالبدائية والجهل عليك أن تدرك معنى البدائية والتحضر، لأن بينهما خيط رفيع، ذلك الخيط يجعل هناك تداخلاً بينهما، فما تقر به أنت كمتحضر، قد أراه أنا طبقاً لمبادئي وتربيتي هو عين البدائية، وما تظنه أنت بدائية وتخلفاً هو بالنسبة لغيرك قد يكون التحضر والثقافة في أبهى صورها. فنظرتك العلوية تجاهي واتهامي بالبدائية هي من باب التغطرس والتعالي والتفاخر الذي ينافي التحضر والمدنية، فرغم عدم توافر طرق مرصوفة أو وسائل مواصلات جيدة تصل لتلك القرى، وكذلك عدم توافر قنوات الماء العذب، ولا وسائل ترفيهية إلا أنه يفتخر بريفيته ويشبه نفسه بطاووس نتف منه الريش؛ كما عبر الشاعر في نفس القصيدة سالفة الذكر:

Ninaishi mwituni,	*أعيش في الغابة*
Ndiyo mimi mshenzi!	*نعم أنا بدائي*
Hakuna mifereji kwetu	
Hakuna barabara za lami	*ليس لدينا قنوات مياه*
Gari hazifiki	
Ndege haziruki	*لا توجد طرق مرصوفة*
Maisha ya kinyama!	
Hakuna anasa	*السيارات لا تصل*
Hakuna kamwe	
Mila mnazoringia!	*الطائرات لا تقلع*
Ndiyo, mimi mshenzi	
Ela ni tausi	*الحياة برية!*
Aliyenynyolewa manyoya![16]	
	لا يوجد ترفيه
	لا يوجد على الإطلاق
	تلك الخدمات التي بها تتباهون!

16 المرجع السابق، صـ 10.

نعم، أنا بدائي

إلا أنني الطاووس

الذي نتف منه الريش!

يلقي الشاعر الضوء في الأبيات السابقة على خدمات الترفيه والترويح عن النفس "anasa" التي يتباهى بها أهل الحضر، ويؤكد على أن تلك الأساليب والعادات غير موجودة في الريف، لكن مع كل ذلك فلا يزال الريف متمسكاً بهويته الإفريقية الريفية، حتى وإن قلت الإمكانيات المادية التي توفر حياة رغدة، إلا أن الريفي يعيش في هناء وسعادة بأسلوبه هو، من منظوره هو. فهو قد يكون كالطاووس الذي نتف منه الريش– ذلك الريش الذي يظهر جمال ألوانه وبهاء منظره الخارجي– إلا أنه يظل طاووسا، ويظل رمزا للجمال المعنوي الداخلي. وفي ذلك إشارة إلى أن جمال الريف يكمن في القيم والأخلاقيات الجميلة التي تسود بين هؤلاء الريفيين البسطاء، ويكمل الشاعر القصيدة قائلاً:

Kwetu ushenzini,	*في البدائية عندنا،*
Umasikini umetawala,	*الفقر قد سيطر،*
Ela ulofa wetu wa vitu	*غير أن فقرنا في الماديات*
Si ulofa wa mioyo	*ليس فقراً في القلوب*
Mioyo yetu mikubwa kuliko yenu…	*فقلوبنا أكبر من قلوبكم…*
Ubinadamu ni umeme wetu	*إنسانيتنا هي طاقتنا*
Unaomulika mapenzi na huruma	*التي تنير محبةً وعطفاً*
Utu ni maji yetu	
Yanayolainisha mikinzano	
Na shida zilizogandama![17]	

[17] المرجع السابق، صـ 10.

الإنسانية هي ماؤنا

الذي ينيب الحواجز

والأزمات الطاحنة!

الأبيات تدلل على أنه رغم الفقر الذي يعيش فيه هؤلاء الريفيون، وقلة مواردهم المادية، فإنهم أغنياء بقلوبهم الرحيمة، التي تملؤها المودة والمحبة والإخاء والتي تتسع لكل الأهل والأحباب بل والغرباء، تلك القلوب هي بحق كالتيار الكهربائي الذي يساعد في إنارة الدنيا من حولهم، هي الوقود والطاقة التي تحفزهم للعمل، هي سر الفرحة وسبب البسمة والضحكات، يشعرون بالرضا، ويواجهون الشدائد بالبشاشة، ويزيلون بها كل العراقيل، والمعوقات أمام استكمال حياتهم في سعادة وراحة بال؛ ذلك الأمر الذي يجعل نظرتهم للغير دائما نظرة تصالح وتعاون، لذا نجدهم مستمسكين بحبل الاعتصام، متحابين متشاركين في الأفراح والأتراح؛ واقرأ قول الشاعر في قصيدة "Mshenzi" أيضاً:

Hatuyalazimishi maisha	*لا نفرض الحياة*
Hakuna anayejinyonga kwetu	*فليس فينا من يُذَلّ*
Anayekata machango yake	*ولا من يطعن أمعاءه*
Kwa dharubu ya upanga	*أو بضربة سيف*
Dhiki twafurahi	*فنحن في الضيق نفرح*
Na msiba ukisha	*وعند انقضاء المصيبة*
Twacheka…	*نضحك…*
Kinyume na nyinyi	
Mn'olia katika raha![18]	

[18] المرجع السابق، صـ 11.

خلافكم أنتم

وقت الراحة تبكون!

فحياة الريفي ليست روتينية، فلا يوجد ما يفرض عليه رغماً عنه، كما أن حياته بسيطة سهلة، الأمر الذي يجعل حالته النفسية مستقرة، فلا تجد في الريف من يقتل نفسه هرباً من ضغوطات الحياة ومشكلاتها، أو مكتئباً من معاملات الناس من حوله، وإيقاع الحياة السريع الصاخب. ويشير الشاعر إلى مدى الترابط والتعاون وروح المشاركة بين أهل الريف، والذي عبر عنه باستخدامه ضمير(tu) ؛ في (twafurahi/ twacheka)، فروح التعاون هذه جعلتهم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا، لذلك فإنهم يضحكون وقت المصاعب والشدائد.

هوية جزيرة پمبا "Pemba" في ديوان "Jicho la Ndani":

جزيرة "Pemba" پمبا هي جزيرة في ساحل الشرق الإفريقي، على المحيط الهندي، تبلغ مساحتها ما يقرب من 890 كيلومتر مربع، شمال شرق جزيرة "Unguja" أونجوجا (زنجبار)، وتبعد 50 كيلومتر شرق ساحل تنجانيقا "Tanganyika"، وهي إحدي الجزر القديمة التي لها تاريخ في ساحل شرق إفريقيا، يعمل أهلها بالزراعة، وصيد الأسماك، والرعي، والتجارة، كما توجد جزيرة تابعة لها تشتهر بأعمال السياحة تسمى مدينة" Misali" ميسالي.[19] يتحدث أهلها السواحيلية بلهجة "Kipemba" پمبا والتي طالما اتسمت بها أشعار سعيد أحمد محمد وكذلك العديد من أعماله النثرية بوجود مفردات وتراكيب من تلك اللهجة، وقد أورد الشاعر في نهاية تلك الأعمال مسرداً لتلك المفردات والتراكيب معطياً مقابلها بالسواحيلية الزنجبارية الفصحى "kiunguja" مع ما استشكل على القارىء فهمه من كلمات مقترضة أو لها معانٍ سياقية تختلف عن معناها المعجمي[20]. واستخدام سعيد أحمد محمد لتلك المفردات والتراكيب من

([19]) Zuwena Sulieman Zubeir, **Etimolojia Ya Majina Ya Mahali Ya Kaskazini Pemba Kuwa Utambulisho Wa Utamaduni Wa Wapemba,** Tasnifu ya uzamili (M.A KISWAHILI - ISIMU) ya Chuo Kikuu Huria cha Tanzania, 2015, uk:1.

([20]) Said Ahmed Mohamed, **Jicho la Ndani**, Op.Cit., uk:158,160,162,163,164,165,166,169,170,176.

لهجة "Kipemba" بمبا، دليل على اعتزازه بثقافة جزيرة بمبا مسقط رأسه، وتفاخره بلهجتها، وشاهدٌ على هويته البمباوية تلك. وإليكم جدولاً يسرد تلك التراكيب والمفردات التي وردت في ديوان "البصيرة"، ومقابلها بالسواحيلية الفصحى، مع معنى تلك المفردات باللغة العربية:

Neno kwa kipemba		**Neno kwa kiunguja**	**Maana ya neno kwa kiarabu**
1	Wezifisa (p.158)	walizifikisha	أوصلوا
2	zilipopisa (p.158)	zilipopita	التي مرت
3	hikaa (p.160)	Nikikaa	إن سكنت / إن قطنت
4	Sebu (p.162)	Sitaki	لا أريد
5	Haiwa (p.163)	Haikuwa tena	لم يوجد مرة أخرى
6	Ukichu'za (p.164)	Ukitazama	إذا نظرت
7	Vyereje (p.165)	Inahusu nini	بخصوص ماذا؟
8	Hitizama (p.166)	nikitazama	إذا تأملت / إذا نظرت
9	Wameavywa (p.166)	Wametolewa	أجهد / أنهك
10	Sijabesa (p.166)	Sijapona	لم أبرأ بعد/لم أشف بعد
11	Hilisha (p.169)	Nikilisha	إذا أطعمت
12	Hipokea (p.169)	Nikipokea	إذا تلقيتها/ إذا استقبلتها
13	Siseguki (p.170)	Sitikisiki, siondoki hata kidogo	لا أهتز، لا أغادر ولو قليلا
14	Nke (p.176)	-a kike	إنثوي
15	ndume (p.176)	-a kiume	ذكوري

إن الحفاظ على الهوية الريفية والهوية اليمباوية عند سعيد أحمد محمد هو الخطوة الأولى التي تتجه بنا معه نحو حب الوطن والانتماء إليه، وقضية الدفاع عنه وعن الهوية الوطنية وقد ظهرت على مدار ديوانه هذا.

الهوية الوطنية في ديوان " Jicho la Ndani":

الهوية الوطنية هي الوعاء الوطني والعقد الاجتماعي لمجموعة من الناس تجمعهم أرض وحدود جغرافية واحدة، وإن اختلفت أديانهم وثقافتهم وعرقياتهم.[21] مثل الهوية الوطنية الفلسطينية، والهوية الوطنية التنزانية، والهوية الوطنية المصرية،...إلخ. وبالنظر إلى الهوية الوطنية لدى سعيد أحمد محمد في ديوان "البصيرة" نجده قد تأثر بدرجة كبيرة بالأحداث التاريخية، والسياسية الدائرة في بلاده، وظهر ذلك في العديد من القضايا الوطنية التي تهتم بمعالجة السلبيات، وتدعيم الإيجابيات، وذلك من منطلق حبه لبلاده ووطنه الذي كان يملؤه الحنين إليه في فترات غربته التي عاشها سواء في كينيا أم في ألمانيا بعد ذلك. ومن قصائد الديوان التي تشير إلى تلك الهوية الوطنية وحب الوطن لدى الشاعر: قصيدة "Mama'angu" "أمي"، وقصيدة "Watendwa Jana"" "المفعول بهم بالأمس"، وقصيدة "Wingu""الغيوم"، كما نجد معاني عدة للوطنية، وعشق الوطن، والتفكير في الإعلاء من شأنه وتمثيله في الخارج على أحسن ما يكون. فقد يكون المرء داخل وطنه منعما ويحيا حياة كريمة ينهل من خيرات بلاده إلا أنه ليس وطنيًا، ولا ينتمى لوطنه، ولا مواليًا له. وهنا تأتي فكرة الاستعمار بوجهه الحديث، أو الاغتراب الداخلي (Ukoloni mambo leo)، فالشاعر في هذه القصيدة يستحضر مشاعر الحب لبلده التي وصفها بأنها أمه، أمه التي لم تفارقه قط حتى في أسفاره واغترابه عنها؛ ففي قصيدة "Mama'angu" " أمي يقول الشاعر:

[21] طالب محمود ياسين وآخرون، **مستوى شعور طلبة كلية التربية بالهوية الوطنية**، بحث مشارك في المؤتمر الدولي الخامس لكلية العلوم الاجتماعية الكرك المواطنة والهوية والأمن الوطني 5-2013/9/8م، مجلة التراث، العدد العاشر، جامعة الجلفة، الجزائر، ديسمبر 2013م، صـ4،صـ5، بتصرف.

إسمك له لذة يا أمي!

لذة في الريق واللسان

استوليتِ على كلِّي

داخل قلبي

غامرة إياه بالحب والألفة...

فأنت الكائن الحي القديم

وكذلك الكائن الحي الحديث!

عشت دوما وأبدا.

تعيشين ولن تنتهي.

تبقين عزيزة

داخل القلوب التي تعشقك

الوقت يمر

الصمت يغشانا!

صمت العزلة والانفصال!

لكنك كنت، كنت معي

ولازلت موجودة معي

داخل تفكيري ومشاعري.

Jina lako tamu mama'angu!

Tamu kwenye mate na ulimi

Umechukua nafasi yote

Ndani ya wangu moyo

Umejaza huba na mazoea…

Wewe kiumbe wa zamani

Tena kiumbe wa sasa pia!

Waishi dumu dawamu.

Hwishi hutakwisha.

Utabaki azizi

Ndani ya nyoyo zinazokupenda

Muda umepita

Kimya kimetugubika!

Kimya cha upweke na utengano!

Lakini ulikuwa, ulikuwa na 'mi

Na bado umo na 'mi

Ndani ya tafakuri na hisia.

Usidhani sikujali

Usione sikubali

Sijaghuri

Sijahuni

Ningeliwezaje, ewe mama'angu?[22]

[22] المرجع السابق، صـ21.

لا تظني أني أتجاهلك

لا تظني أني أرفضك

لم أهجرك

لم أخنك

كيف لي أن أستطيع يا أمي؟

والقصيدة من نمط الشعر الحر لم تتقيد بالوزن والقافية، تناولت علاقة الشاعر ببلده، والتي رمز إليها بكلمة "Mama'angu" والتي تعني "أمي"، فبلاده هي أمه التي يتمنى لقاءها ورؤيتها على أحسن حال بعد طول فترة غياب وافتراق. وعلى النقيض نجد من لا يهتم ويكترث بمصلحة الوطن، يتظاهرون بحبه، وكل همهم وشغلهم الشاغل هو كيفية استلاب مقدراته وخيراته من أجل إشباع نزواتهم وغرائزهم؛ يقول الشاعر في نفس القصيدة السابقة "Mama'angu":

كثيرون لا يفهمونك يا أمي،

وهم يدّعون أنفسهم أحبةً لك–

يا للعجب، إنه على العكس تماماً!

يتصنعون الاهتمام بك كثيرا

والحال أنهم يستخدمونك رأس مالهم!

Wengi hawakuelewi mama,

Nao hujifanya wapenzi kwako –

Kumbe kinyume cha mambo!

Hujifanya wakujali sana,

Kumbe nia mtaji wao!

Hujifanya watetezi wako,

Kumbe hutafuta kuinama,

Kupiga chuku mwili wako

Kesho watasema nini hao,

Mbele ya vijukuu na vitukuu,

يجعلون من انفسهم حماةً لك ،

Watakaporithi jangwa tupu?[23]

والحال أنهم يبحثون عن تركيعك،

بامتصاص دماء جسدك

غدا ماذا سيقول هؤلاء،

أمام الأحفاد وأحفاد الأحفاد،

عندما يرثونها صحراء مقفرة؟

في الأبيات السابقة إشارة إلى أن الوطن دوما في قلب المخلصين المحبين من أبنائه، وأنهم هم من سيخلدهم الوطن، وأن أولئك الذين ينهبون خيراته، ويسلبون رأس المال من أجل أن يزدادوا غنى وهم غير مكترثين بفقر ذويهم، ولا بخراب أراضي وطنهم، هؤلاء سيجلبون للوطن الحاجة والفقر لأنهم لم يعملوا من أجل إنمائه وتطويره، وبالتالي لن يجد أحفادهم أو الأجيال التي ستليهم ما يعملون عليه كي ينهضوا بالوطن، وكيف ذاك وقد ورثوا من آبائهم هؤلاء (صحراء مقفرة)! لذا يتساءل الشاعر قائلا ماذا سيقول هؤلاء المستبدون المصاصون لدماء الوطن عندما يقفون أمام الأجيال القادمة التي ستحاسبهم، بل كيف ستكون صورتهم عند قراءة تاريخ ذلك الوطن؟

بعد الاستقلال تجاوز مفهوم الوطنية ذلك المفهوم المحدود المنحصر في التحرّر والخروج من نظام السيطرة الاستعمارية بتحقيق الاستقلال السياسي ليشمل أيضاً مفهوم التحرر الاجتماعي والاقتصادي، حيث بدأ هذا المفهوم الجديد للوطنية والذي يهدف إلى التحرر من

[23] المرجع السابق، صـ22، صـ23.

الاستعمار بوجهه الجديد[24]. لذا يتطرق الشاعر إلى قضية الإرث الاستعماري المتمثل في عدم تحرر فكر القادة الأفارقة من ثقافة الخضوع للاستعمار اقتصادياً أو ثقافياً حيث ما زالت التبعية للمستعمر الغربي مستمرة، ولا تزال سيطرة النخبة الحاكمة هي القائمة، ولا زال هناك فساد في مجالات عدة سياسية، واقتصادية، وحتى اجتماعية؛ متمثلة في عادات وتقاليد تتنافى مع ثقافة الوطن. فقد أصبح – وعلى حد تعبير الشاعر– هؤلاء الذين كانوا مستعمَرين (اسم مفعول) بالأمس هم من يستعمرون بلادهم اليوم، ففي قصيدة "Watendewa jana" "المفعول بهم بالأمس" – وهي قصيدة من الشعر التقليدي جاءت على ثلاث أسطر كل سطر مكون من شطرتين لكل منهما قافية ثابتة في بقية الأسطر للبيت الواحد؛ مع وقفة (Kituo) بعد كل ثلاث أسطر– ؛ يقول سعيد أحمد محمد:

1. *Watendewa jana* *ndio watenda wa leo*
   Waliosonona *ndio wasononeshao*
   Hawajali tena *ya jana ya mbali kwao*
   Imekuwaje?[(25)]

حقا هم الفاعلون اليوم *المفعول بهم بالأمس*

حقا هم المؤلمون *المتألمون*

بأمسهم البعيد عنهم *ما عادوا يبالون*

كيف صار؟

[24] إبراهيم علي، **الجمالية الوطنية والهوية الأدبية: قراءة في مرجعيات الأدب الوطني الجزائري وارتباطاتها المؤسسية**، مجلة إضافات، العدد 25، شتاء 2014، الجمعية العربية لعلم الاجتماع بالتعاون مع مركز دراسات الوحدة العربية، الجزائر، ص46، بتصرف.

[25]) Said Ahmed Mohamed, Op.Cit., uk56

يشير الشاعر في هذه الأبيات إلى أن الزعماء الذين يحكمون اليوم بتجبر وتسلط قد تناسوا – في ظل مناصبهم الحالية – أنهم بالأمس كانوا يعانون من ظلم واستبداد المستعمر، كما تناسوا أنهم قد يفقدون سلطانهم وملكهم ومناصبهم في الغد.

ويستمر سعيد أحمد محمد في التعبير عن الصعوبات، والضغوطات التي يتعرض لها المواطنون في بلاده، وكذلك عما إذا كانت تلك المصاعب مستمرة أم أنها غيوم ممطرة تاتي بخيرها وشرها ثم تنتهي. وهذا ما عبرت عنه قصيدة "Wingu""الغيوم" – وهي قصيدة من الشعر التقليدي ؛ أربعة أسطر تنتهي بوقفة، وكل سطر مكون من شطرتين لكل منهما قافية ثابتة في بقية أسطر البيت الواحد– ؛ يقول سعيد أحمد محمد:

1. *Wingu kama li'masizi* *lilitanda lote anga*
   Radi na zake konyezi *ziliwaka na kuanga*
   Mvua na michirizi *na pepo kubwa kupunga*
   Makubwa maangamizi *kila pembe yalifunga*

Je, sasa wingu linapita?[26]

الغيوم كهباب النار *منتشرة في كل الفضاء*

رعدها وبرقها *توهج وتسبح بالفضاء*

الأمطار والسيول *والرياح العاتية الضارية*

دمار كبير *يغلق كل الأرجاء*

فهل، للغيوم أن تنقشع الآن؟

في الأبيات السابقة نجد أن الغيوم الكثيفة والتي تضرب برعدها وبرقها في السما ممطرة بغزارة محدثة دمارا هائلاً يتسبب في توقف كل نشاطات الحياة! تلك الغيوم إشارة إلى الأحداث

[26] المرجع السابق، صـ100.

والأوقات العصيبة التي يمر بها المواطنون، والتي سيأتي عليها وقت وتنتهي لأنه لا يوجد غيوم تمكث في السماء إلى الأبد، ولذلك سياتي عليها وقت وستمر بخيرها وبشرها، ولا يبقى منها إلا الذكريات. إلا أن الغيوم في هذه القصيدة لم تمر بسرعة، بل ظلت باقية تسبب فيضانا يعرقل الناس في الطرقات ويعطل السفر، ويمنع الناس من تأدية أعمالهم وأشغالهم متسببا في خسائر مادية جسيمة مثلما تعبر عنه الأبيات التالية من القصيدة سالفة الذكر:

. ulijaa utelezi *mno watu 'kaanguka*

Na tope haziachizi *kila tunapozunguka*

Mafuriko maenezi *gharika kwetu gharika*

Ukasita uendezi *maisha yakasitika*

Je, sasa wingu limepucha?

3. Mvua i shehenezi *ililala mapaani*

Ikazima zote kazi *tukabaki tu wandani*

Riziki haziwekezi *ufanyalo kisirani*

Kwetu ukawa utwezi *sababu hujui nini*

Je, sasa wingu layoyoma?[27]

امتلأت بغزارة *شديدة فتساقط الناس*

والوحل لايفارقنا *أينما حللنا في كل مكان*

الفيضانات تنتشر *طوفان عندنا طوفان*

لا يتوقف عن الاستمرار *والحياة مضطربة*

هل اكتظت الغيوم الآن؟

المطر محمل *قد نام بالأسطح*

[27] المرجع السابق، صـ100.

قد أغرق كل المحال فمكثنا بالداخل كليةً

الأرزاق لا تجلب لما فعله البلاء

فصار عبئاً على أكتافنا فمن يعرف السبب

هل انصرفت الغيوم الآن؟

يرجع الشاعر ويتساءل هل انتهت الغيوم من إحداثها لكل تلك الصعاب والكوارث، أم إنها تعيد ترتيب نفسها لتضرب من جديد؟ وفي ذلك إشارة إلى الوعود والعهود التي تقال دون تنفيذ لدرجة أنها أورثت سآمةً وشؤماً ويأساً وما عادت تطاع ولو للحظة أكثر من ذلك!!! فنجده يكمل القصيدة قائلاً:

6. hivi wingu ni pitizi au 'mebaki kufinga?
Limehama ng'ambu hizi au bado linafunga?
'mekwisha uangamizi au tena wajipanga?
Tumechoka mazingizi na uwongo kutuvunga
Je, sasa wingu limeondoka?[28]

هذه الغيوم هل هي عابرة أم ستبقى كالحجاب؟

هلا تغادر عن هذه الجهات أم لازالت حبيسة؟

هلا انتهى الدمار أم أنه يعيد ترتيب نفسه؟

لقد سئمنا من الحصار وخداعنا بالأكاذيب

هلا رحلت الغيوم الآن؟

[28] المرجع السابق، صـ100.

والشاعر هنا يقول إن لكل بداية نهاية، وكل المشكلات التي يتعرض لها المجتمع إلى زوال قصرت ام طالت، ولن ينسى المجتمع دمارها وخرابها، وسيتعلم الناس منها دروسا وعظات لكي يتجنبوا أسبابها فيما بعد، ويتعلموا طرق حلها، وستتحول تلك المشكلات إلى موضوعات تاريخية تُحكى على المسامع من آن لآخر من أجل العبرة والاستفادة وإيقاظ الهمم.

الهوية القومية في ديوان " Jicho la Ndani":

الهوية القومية هي: " مجموعة الصفات أو السمات الثقافية العاملة التي تمثل الحد الأدنى المشترك بين جميع الذين ينتمون إليها، والتي تجعلهم يعرفون، ويتميزون بصفاتهم تلك عمن سواهم من أفراد الأمم الأخرى"[29]. وسعيد أحمد محمد ينتمي لهوية قومية سواحيلية إفريقية لذا سنلقي الضوء على انتماء الشاعر إلى قارته وثقافته الإفريقية.

تعد قارة إفريقيا من أكثر القارات التي سلبت وانتهكت حقوقها، وذلك باحتلال معظم دولها إن لم يكن جميعها على يد الاستعمار الأوروبي، حيث تم تقسيم أراضيها وتحويلها إلى دويلات، مع رسم الحدود الجغرافية بينها، الأمر الذي أدى إلى تقسيم وتفريق القوميات الواحدة، كما فرضت تلك الدول الاستعمارية لغاتها على تلك الشعوب فصارت اللغات الرسمية لتلك الدول هي لغات الدول الاستعمارية؛ كالفرنسية، والإنجليزية، والأسبانية، والإيطالية، والبرتغالية. كما ساعدت العصبية القبلية على ذلك حيث تعصبت كل قبيلة للغتها، ورفضت اختيار لغة أي قبيلة أخرى كلغة رسمية للبلاد الأمر الذي جعل اختيار لغة المستعمر كلغة رسمية لعموم الشعب هو الحل والدواء حتى وإن كان مراً! لم تفرض الدول الاستعمارية لغاتها فقط بل فرضت ثقافاتها أيضا، الأمر الذي جعل بعضاً من أبناء الدول الإفريقية يدين بالولاء للثقافه الأوروبية ويرفض تبني ثقافته الإفريقية[30]، كل هذا التاريخ المظلم من الظلم والاستبداد

[29] أحمد بن نعمان، **الهوية الوطنية**، دار الأمة، الجزائر، 1969م، صـ23.

[30] محمود أبوالعنين، **إدارة وحل الصراعات العرفية في إفريقيا**، ط1، الدار الجامعية للنشر والتوزيع والطباعة، ليبيا، 2008م، صـ21.

الاستعماري لم يكن عن الأدب ببعيد. وسعيد احمد محمد واحد من هؤلاء الأدباء حيث عبر عن تلك الحقبة الاستعمارية لقارة إفريقيا بقلمه؛ روايةً، ومسرحاً، وقصةً قصيرة، ونظما للأشعار، ومن تلك القصائد التي بينت هذه الفترة الاستعمارية قصيدة صور فيها قارة إفريقيا كما لو كانت شجرة برتقال يانعة تجذب الأنظار إليها، خضراء، ومثمرة، لها أغصان وأفرع عديدة، كلها ذات ازهار وثمار، هي قصيدة "Kadhia ya Mti""قضية الشجرة"– وهي قصيدة من الشعر التقليدي؛ أربعة الأسطر كل سطر مكون من شطرتين لكل منهما قافية ثابتة تتكرر في بقية أسطر البيت الواحد– ، والتي يقول فيها الشاعر:

Mti uliposheheni	*kwa utomvu wa ujana*
Kiale hadi shinani	*vyema umeviringana*
Na kijana matawini	*maua yakipachana*
Ulialika wageni	*mtini kutulizana*[(31)]

الشجرة عندما أثقلت *بعصارة الشباب (والثمار)*

من شوشتها حتى جزعها *وقد التفت جيدا*

بفروعها الخضراء *وبأزهارها المتناسقة*

دعت الضيوف *ليستريحوا تحتها*

في البيت السابق نجد أن الشاعر يصف جمال القارة، وبلدانها قبل استغلال خيراتها ومقدراتها من قبل الاستعمار ومن قبل أزلام الاستعمار، ومن الزعماء الفاسدين بعد الاستقلال. فالدول الإفريقية كانت ولا زالت مطمعًا لكل طامع في ثرائها المادي المتمثل في طبيعتها الجغرافية، والكنوز التي في باطن أراضيها، وكذلك في ثروتها البشرية المتمثلة في الأيدي العاملة من أبنائها، الأمر الذي جذب نحوها العديد من المستعمرين الذين استعمروها سياسيا،

([31]) Said Ahmed Mohamed, **Jicho la Ndani**, Op.Cit., uk:34.

واقتصاديا، وأيضاً أسال لعاب الفاسدين من الزعماء وأصحاب رؤوس الأموال الذين لا يهمهم مصلحة المواطن العادي بقدر اهتمامهم بجمع الأموال والثروات لحسابهم الشخصي. وفي ذلك المعنى يكمل الشاعر قائلاً:

Punde 'kaanza nuhusi *na pupa ziso maana*
Wakaanza kuuasi *na walio kwenye shina*
Wanadamu wasikisi *wakaanza kuvutana*
Mti wakaufilisi *tanzuze katatizana*[32]

بعد فترة وجيزة بدأ النحس بسبب الغيرة والشراهة التي بلا معنى
فبدأوا التمرد أولئك الذين هم عند الجزع
والبشر الذين لا يقدرون الأمور بدأوا يتجاذبون
فأفلسوا(ثمار) الشجرة وأخذوا يشاكسون بعضهم البعض

هؤلاء جميعًا سواء أكانوا هم المستعمرون أم من تبعهم من المفسدين الذين تربوا في أحضان مستعمري الوطن، وترعرعوا على خيراته، ولكنهم نهبوا وسلبوا استثماراته، هم مثلهم مثل الثعابين السامة؛ التي تهجم على الطيور البريئة؛ وقد أكمل الشاعر أبيات القصيدة معبراً عن ذلك المعنى بقوله:

Nyoka wenye sumu kali *matawini 'kazongana*
Wakioteya pahali *'kajificha wametuna*
Ndege walipowasili *wakapata kuwababa*
'kashamiri ujahili *salama haiwa tena*[33]

32 المرجع السابق، صـ34.
33 المرجع السابق، صـ35.

ثعابين ذوات سم قاتل قد التفت بالأفرع

اتخذوا من المكان كميناً مختبئين ينفثون سمومهم

عندما وصلت الطيور تم اقتناصها

والتعامل معها بلا رحمة فما عاد هناك أمان

فالأبيات تعبر بحبكة درامية عن صراع بين مخرب مفسد، يريد أن يبتلع خيرات البلاد (أغصان الشجرة) ويسيطر عليها من شتى النواحي والمجالات (قد التفت بالأفرع)، فسادهم وخرابهم محبك، لا يمكن التنبؤ به، أو توقعه، نظراً لكونهم مختبئين بين أفراد الشعب(أفرع الشجر)، يرتدون ثياب الوطنية، ويرفعون شعار الخوف على مصلحة الأمة، على الرغم من كونهم مصاصو دماء وسالبو خيرات، وهم سم قاتل للبلاد والعباد (مختبئين ينفثون سمومهم)، ومن يريد من الشعب (الطيور) أن يصل للحقيقة، او أن يطالب بالعدل والمساواة ودفع الظلم، يتم القبض عليه والتعامل معه بقسوة (فما عاد هناك أمان).

لكن ورغم ما تعانيه معظم مجتمعات القارة الإفريقية من مشاكل، وصعاب في شتى المجالات، إلا أن شعوبها لا زالت تواجه تلك الصعاب بالضحكات؛ حتى وإن أخفت تلك الضحكات آلامًا، وأوجاعاً؛ وذلك ما عبرت عنه قصيدة " Vicheko" "الضحكات" – وهي قصيدة من الشعر التقليدي؛ جاءت على سطرين كل سطر مكون من شطرتين لهما قافية ثابتة تتكرر في بقية الأسطر للبيت الواحد، والذي ينتهي بوقفتين من سطرين جعلا لازمة (Kibwagizo) في أبيات القصيدة جميعها– ؛ يقول الشاعر:

Vicheko vya watu wale sijaviona kwengine

Wachekeo kwa kelele kwa mengi yao mavune

Huku gego waliona

Kumbe ndani wasonona![34]

ضحكات أولئك الناس لم أرها في مكان أخر

يضحكون بصخب لمحاصيلهم الكثيرة

حيث ترى أنيابهم

والحال أنهم بداخلهم يتالمون!

تلك " الضحكات" الصاخبة ليست إلا تفريغًا لشحنة الغضب بداخلهم، تلك الشحنة التي قد تتحول إلى طاقة ثورية للتصحيح، أو درعًا يقيهم من اليأس وفقدان الأمل، لذا نجده في السطرين الأخيرين من البيت السابق واللذين جعلهما مكررات للقصيدة كعجز لكل بيت من أبياتها يتعجب ويقول: "حيث ترى أنيابهم (وكأنهم يضحكون) والحال أنهم بداخلهم يتألمون!"، وقد عبرت القصيدة ايضاً عن مواجهة هؤلاء للشدائد عن طريق الضحكات؛ يقول الشاعر:

Vicheko vya watu wale sijavikuta pengine

Furaha yao ni ndwele ndiyo tiba ya swenene

Huku gego waliona

Kumbe ndani wasonona![35]

ضحكات أولئك الناس لم أجدها في مكان آخر

فرحتهم علّة وهي حقا دواء للعضال

حيث ترى أنيابهم (وكأنهم يضحكون)

والحال أنهم بداخلهم يتالمون!

34 المرجع السابق، صـ134.
35 المرجع السابق، صـ134.

إن تكرار السطرين الأخيرين وجعلهما عجزاً لأبيات تلك القصيدة قد يكون من باب التأكيد على أن تلك الضحكات هي ضحكات نادرة، فريدة من نوعها؛ فكيف للمهمشين أن يضحكوا، أم كيف للمطحونين والمقهورين أن يضحكوا، لكن ضحكاتهم تلك هي الدواء الذي يُسكِّن تلك الآلام، أو هي باب من أبواب الأمل في مستقبل جديد راجين أن تشرق شمسه بالخير والفرج. ولقد عبرت القصيدة عن تفرد تلك الضحكات وأن الشاعر لم يجده في مكان آخر. وكأن لسان حال الشاعر في الأبيات السابقة يقول: عجباً لضحكات تخفي وراءها الضيق، تلك الضحكات الساخرة التي تواجه الفاقة والعوز، كما أكد الشاعر على ذلك المعنى في قوله:

"dhiki kwenye uchochole hakuna kitu chingine"

وهل يوجد بعد الفقر المدقع من شيء؟

لكنه يعود ويؤكد على أن هناك دائما حلولا، وأن لكل بداية توجد نهاية، فها هو يحاور قلبه الذي هو مصدر إيمانه، وطاقته، والمحرك لسائر أعضاء جسده وجوارحه، هذا القلب النابض الذي بنبضه يعطي الأمل في الحياة في قصيدة بعنوان: "Wanyongeka Nini""ماذا يضعفك" – وهي قصيدة من الشعر التقليدي جاءت أبياتها على أربعة أسطر كل سطر من شطرتين لهما قافية ثابتة متكررة في بقية الأسطر للبيت الواحد–، يقول الشاعر:

Lipi niambiye	*lipi lisil'okwisha?*
Wapi, niambiye	*wapi panapochosha*
Ambapo hatimaye	*hapatakomeshwa?*
Basi, basi wangu mtima	*wanyongeka nini?*[36]

أي أمر أخبرني	*ما ذلك الأمر الذي لا ينتهي*
أين؟ أخبرني	*أين موضع الأذى*

[36] المرجع السابق، صـ 16.

الذي خاتمته *لا نهاية لها؟*

إذًا، إذاً يا قلبي *ماذا يضعفك؟*

هنا تحول سعيد أحمد محمد من مجرد مدافع عن قضايا بلاده وقارته إلى نطاق أوسع، ومجال أرحب فسيح، فأصبح مدافعا عن كل مظلوم ومستضعف في كل بقاع الكرة الأرضية، ومن هنا ينطلق سعيد من هويته الوطنية وهويته القومية إلى الهوية الكونية.

الهوية الكونية في ديوان " Jicho la Ndani":

الكونية بأجمل تجلياتها هي أن تكون ابنا للكون، بالمعنى الإنساني والسياسي والأخلاقي والثقافي، وإن كان لديك ارتباطات خاصة فلتكن هذه الارتباطات متعايشة بعضها مع بعض ومع ارتباطات الغير. هذا الفكر الكوني هو ما فتح لسعيد أحمد محمد الآفاق في قراءة واقعه السياسي والإنساني في مرآة الآخر. مما جعله ينطلق إلى عالمية التجربة الإنسانية. لذلك انطلق سعيد في شعره إلى فكرة تبني الألم الإنساني بشكل عام طالما أن هناك مقموعين يحملون مشكلات الضحية والمعاناة، مع ضرورة وجود نضال في اتجاه خلق وضعية تمكن من تحقيق الكرامة الإنسانية، فسعيد هو المتعدد المبدع، هو الأوروبي الذي شاء أن يكون إفريقيا، والإفريقي الذي أراد أن يكون أوروبيا، والناقد الأدبي الذي صاغ خطابا إصلاحيا، والمثقف الناقد الذي انفتح على فنون كثيرة... وكان في هذا كله مثقفا وإنسانيا شاملا، يرى ذاته في " الآخر " ويرى " الآخر " في ذاته. في قصيدة "Jicho la Ndani" " البصيرة" نجد سعيد أحمد محمد يعطي صورة واقعية لقضية الهوية الكونية، وهو يصف الكون من حوله والذي قد يراه أنه هادئ، وساكن، وفي حالة سلام، لكن بالنظر بعمق نجد تلك الصورة تخفي الكثير من صراعات، واقتتال، وحروب! وهي دعوة لكل إنسان أن يفتح عين بصيرته كي يرى حقيقة الصور المنعكسة داخل عينيه، يقول الشاعر:

Tazama ukiiona *تأمل حالة رؤيتك*

Milima ya ukingoni
Na bonde lililo pana
Na bustani la kijani
Na nyama wan'olishona
Wlioko malishoni
Wadogo wal'ojazana
Na wakubwa wa pembeni
Wote wamekitamana
Kwa upole wa amani
Uwatazamapo sana
Wamekutana kwa shani
Kama vile 'mepatana
Na amani 'mesaini
Ila 'kitunga maana
Utaona wa vitani
Mwenye nguvu ambana
Dahaifu yu mautini![37]

جبالاً على الحافة

ووادٍ رحب

وبستان أخضر

والحيوانات ترتع

في المراعى

صغارها معها تجتمع

والكبار في الأركان

الكل متراص

بهدوء وسلام

حين تتأملها مليا

وقد اجتمعت لحدث هام

ومعناه أنها (الحيوانات) توافقت

ووقعت معاهدة سلام

لكن إذا تناطحت

فسترى ما في حروبها

قوي يزأر

الموت للضعيف

37 المرجع السابق، صـ1.

في حبكة درامية شعرية وصف لنا الشاعر حال هذا الكون، وما به من سباقات دائرة بين قوي وضعيف، بين غني وفقير، بين مهمش يريد أن يضع بصمته في هذا الكون الفسيح، وبين آخر يريد تأكيد وجوده وبسط هيمنته، ثم يعود ويصور لنا هذه الدنيا على هيئة غابة مليئة بالعديد من الأشجار، الكثير منها صغير والقليل منها ضخم وقوي، وذلك في قصيدة " Huu Msitu" "هذه الغابة" – قصيدة من الشعر الذي دمج فيه الشاعر بين الشعر التقليدي والشعر الحر– حيث يقول الشاعر:

Katika huu msitu ...

Kuna iliyodhofu *is'o na kani*
Kuna midhaifu *'metwama chini*
Kuna na michofu *'loachwa njiani*
Kuna mitilifu *il'o hatarini*
Kila kitu huwania juu

Katika huu msitu!

Katika huu msitu ...

Kuna il'o mirefu *'meshika kani*
Kuna minenefu *'metamakani*
Kuna miangafu *'nong'ara majani*
Kuna is'o hofu *kwa mengi makini*
Kila kitu hugombea juu

Katika huu msitu![38]

في هذه الغابة...

يوجد المستضعف *ليس لدية إصرار*

[38] المرجع السابق، صـ155.

يوجد ضعفاء قد قبعوا في الأسفل

يوجد متعبون قد تُركوا بالطريق

يوجد خاضعون هاهم في خطر

كل شيء يسعى من أجل العلا

في هذه الغابة!

في هذه الغابة...

يوجد طوال قد تمسكوا بإصرار

يوجد بدناء قد تمكنوا

يوجد مشعون نورا قد أضاءوا الأغصان

يوجد من لا يخاف وعنده ثبات كبير

كل شيء يصارع من أجل العلا

في هذه الغابة

الغابة في الأبيات السابقة ترمز إلى هذه الدنيا التي نعيشها، والتي تجري بها أمور مماثلة للتي في حياة الغابة، فبين الأشجار هناك تزاحم، وتجاذب، وتنافس ليس له حد، هناك كل أنواع الأشجار؛ الضعيفة والقوية، القصيرة والطويلة، المزهرة المثمرة والتي تم قطف ثمارها وتركت خاوية، الكثيفة العالية الحاجبة للضوء والهواء عن تلك القصيرة. إنها الحياة التي نعيشها من سلب حقوق الضعفاء بواسطة الأقوياء ومن يملكون السلطة والمال، هؤلاء العمالقة المتحكمون في بقية البشر، والمسيطرون على أفكارهم لكسب خنوعهم، وذلك عن طريق الشعارات والوعود لكي يرضوا بما يلقونه لهم من فتات، وهذا ما تشير اليه قصيدة أخرى هي قصيدة "Makomanzi" "العمالقة" – قصيدة من الشعر الحر – حيث يقول فيها الشاعر:

أحياناً ينظرون فجأة،	*Mara mojamoja hutazama chini,*
إلى الأقزام فاحصين،	*Kuchungua mbilikimo*
محققين	*Na kuhakikisha*
في كيفية السيطرة على عقولهم	*Jinsi walivyoziteka akili zao*
وكيف بها يتلاعبون، وينشطونها	*Kuzichezea, kuzisuguasugua*
بلعبة ذات منفعة لهم	*Mchezo wenye manufaa kwao*
وتارة أخرى إلى الأسفل ينظرون	*Mara nyingine hutazama chini*
وعلى الأقزام يبصقون	*Kutemea mate mbilikimo*
" برزاز زجاجات العطر!"	*"Rasharasha ya marashi!"*
وستنصت لهم حينما يتحدثون؛ و	*Utawasikia wakisema; na*
العجب أن الأقزام يفرحون!	*Ajibu mbilikimo hufarajika*![39]

قد يشير بالأبيات السابقة إلى زعماء الدول النامية، والذين يخدعون مواطنيهم بالأكاذيب عن التقدم، والنمو الاقتصادي، وذلك لكسب أصواتهم في أوقات ترشحهم لمناصبهم، وبعدها يتم إهمالهم وإدارة ظهورهم لهم، والتخلي عن كل تلك الخطط المستقبلية بعد أن صدقهم هؤلاء الناخبون ممن وثقوا بهم ورأوا فيهم الخلاص، وتوسموا فيهم الخير، وإذا سقط أحد هؤلاء العمالقة – ممن تم انتخابهم وتوليهم مناصب عليا في الدولة – أثناء سيره الدؤوب نحو غايته التي هي البحث عن منفعته الشخصية دونما النظر لموطئ قدمه، أو دونما توقف ليستطلع حال من هم دونه من شعب فقير لا حيلة له، فإن باقي العمالقة – من الزعماء والقادة ضعاف النفوس والطامعين في السلطة والمال – يبررون سقوطه على أنه بسبب تخلي الشعوب عنهم!

[39] المرجع السابق، صـ7.

دون أن يشعروا بمدى ثقل وزنهم والتخمة التي هم فيها؛ الأمر الذي سبب سقوطهم. وفي ذلك إشارة إلى أن الشعوب وقتئذ قد ضاق صدرها من الحمل الثقيل، هذا الحمل الذي سببه فساد هؤلاء القادة والزعماء وانشغالهم عن مصالح الناس بأغراض ورغبات شخصية؛ يكمل الشاعر قائلاً في ذلك المعنى:

Kwa nadra hutokezea kusikia	*نادرا ما يقفون للإنصات*
Mmoja ameshatenguka	*بسقوط واحد منهم*
Na kupoteza uzani	*بفقد توازنه*
Kwa ule unene wao	*لبدانتهم*
Na kisha hulalama na kulani	*ثم بعدها يشتكون ويلعنون*
Eti wameangushwa	*كيف أسقطهم*
Na mbilikimo![40]	*الأقزام !*

في الأبيات السابقة إشارة إلى عدم تقبل القادة والزعماء للفشل والهزيمة، وأنهم لا يعترفون بأخطائهم ولا بأفعالهم التي قد تتسبب في إزالتهم، ويلقون باللوم كل اللوم على الشعوب، هذه هي حالة العالم اليوم والتي يمثلها سعيد أحمد محمد في العديد من قصائده بالديوان، فهو ينادي بالحرية لكل مظلوم، وينادي بالتحرر من هيمنة الدول الكبرى على مقدرات الدول النامية، وسيطرتها على سياسات هذه الدول. التي لم تبرح أن تستقل عسكريا من وطأة الاستعمار حتى سيطرت عليها موجة من الاستعمار المقنع، وهو الاستعمار الفكري والثقافي، والاقتصادي، ذلك الاستعمار الذي تمثله الجوانب السلبية من تيار العولمة الذي يدعو إلى تبني فكر الآخر الأقوى. وذلك هو الجانب السيء من العولمة الذي يجعل الاعتماد على

[40] المرجع السابق، صـ8.

الآخر هو الحل السهل، الأمر الذي يجعل هذا الآخر مسيطرًا على خيرات هؤلاء المتواكلين ومقدراتهم. وها هي قصيدة من قصائد الشعر الحر بالديوان وهي قصيدة "kifumbatiro" "جناح مقيد" –وهي ترجمة عن شرح الشاعر نفسه للكلمة –[41] تدعو كل مستضعف على وجه الأرض كي يثور، ويفك قيوده:

على الرغم من أنني مقيد الجناح

إلا أني أفهم ما الحرية

هي حرية الوقوف

وأخبركم بما أحب:

" أخرج، أغرب عن نظري – أنا لست عبدك!"

على الرغم من كوني معدماً

أعلم أني غني

قلبي يمتلئ حماساً

وجسدي منتصب تماماً

وسأخبر كل شخص:

" أخرج، أغرب عن نظري – أنا لست

Ingawa kifumbatiro

N'naelewa ni huru

Ni huru wa kusimama

Kuwambia nipendavyo:

"Toka, tokomea - mimi si mtumwa wako!"

Ingawa ni mchochole

N'najua ni tajiri

Moyo umejaa ari

Mwili 'mesimama wima

Yeyote nitamwambia:

"Toka, tokomea - mimi si makombo yako!"[42]

[41] سؤال للأديب سعيد أحمد محمد ألقاه عليه علاء صلاح رشوان الباحث بقسم اللغات الإفريقية وآدابها، كلية اللغات والترجمة، جامعة الأزهر، أثناء فترة ابتعاثه، بتاريخ 15 سبتمبر 2019، بممشى فروضاني "Forodhani"، زنجبار، تنزانيا.

([42])Said Ahmed Mohamed, Op.Cit., uk:19.

الفتات الذي تقتات عليه!"

وكلمة "Kifumbatiro" كلمة سواحيلية مركبة وهي كلمة نادرة الاستخدام ويصعب البحث عنها في المعاجم السواحيلية، وتعني ذلك الحر الذي يملك جناحين إلا أنه عاجز عن الطيران، فهي مركبة من كلمتين (Kifumba) بمعنى القيد ، و (Tiro) بمعنى " طير"، وكانت تستخدم للدجاجة أثناء تكتيف قدميها وجناحيها عند الطهي.[43]

إن دعوة سعيد أحمد محمد إلى التخلص من التبعية لم تمنعه من أن يحترم الآخر، وأن يستفيد منه، وأن يتعاون معه من أجل المنفعة والمصلحة المتبادلة، من أجل التعلم في شتى المجالات، وهو ما يدعو اليه في العديد من قصائده، تلك القصائد التي تنادي بالعولمة من جانبها الإيجابي، الجانب الذي يجعل العالم كله سواء، منفتحاً ثقافياً وعلمياً من أجل التطوير العالمي في شتى المجالات، تلك العولمة التي تصعد بالجميع دون أي تهميش أو فرض رأي.

[43]سؤال للأديب سعيد أحمد محمد ألقاه عليه علاء صلاح رشوان، مرجع سابق.

الخلاصة:

تناول هذا البحث دراسة خطاب الهوية في أشعار الشاعر التنزاني سعيد أحمد محمد. وقد بدأ بنبذة مختصرة عن حياة الشاعر وأعماله، ثم ألقى الضوء على بعض القصائد التي عكست عناصر الهوية الفردية والقومية والوطنية وكذلك الكونية للشاعر. وقد خرج البحث بالنتائج التالية:

- إن ديوان الأديب سعيد أحمد محمد في مجمله يحاور الشعوب الإفريقية والعالم أجمع ويبحث عن ملامح الهوية الإفريقية، وينفض الغبار عن الظلم والقمع في حق الشعوب المقهورة والمظلومة، ويبث فيها الحياة لأجل إضاءة دروب هؤلاء الذين أنهكتهم أسئلة الهوية، وسنوات مريرة من الحرب والدمار والاستعباد.
- تعبير الشاعر عن حبه وحنينه لوطنه واعتزازه به، وافتخاره بالانتساب إليه، وحث أبناء المجتمع على أن يفتخروا بوطنهم.
- الدعوة للتعايش، ونبذ الظلم، وفرض السيطرة، مع احترام جميع الهويات لسائر المجتمعات.
- عكست بعض القصائد مدى تمسك سعيد أحمد محمد بهويته الكونية.

المراجع العربية والأجنبية

أولاً: المراجع العربية

إبراهيم علي، **الجمالية الوطنية والهوية الأدبية: قراءة في مرجعيات الأدب الوطني الجزائري وارتباطاتها المؤسسية**، مجلة إضافات، العدد 25، الجمعية العربية لعلم الاجتماع بالتعاون مع مركز دراسات الوحدة العربية، الجزائر، شتاء 2014م.

أحمد بن نعمان، **الهوية الوطنية**، دار الأمة، الجزائر، 1969م.

طالب محمود ياسين وآخرون، **مستوى شعور طلبة كلية التربية بالهوية الوطنية**، بحث مشارك في المؤتمر الدولي الخامس لكلية العلوم الاجتماعية الكرك المواطنة والهوية والأمن الوطني 5-2013/9/8م، مجلة التراث، العدد العاشر، جامعة الجلفة، الجزائر، ديسمبر 2013م.

عادل عبدالله محمد، **دراسات في الصحة النفسية (الهوية، الاغتراب، الاضطرابات النفسية)**، دار الرشاد، القاهرة، 2000م.

فتحي المسكيني، **الهوية والزمان تأويلات فينوميثولوجية لمسألة"النحن"**، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 2001م.

محمد سبيلا، **مدارات خطاب الهوية**، ندوة علمية تحت عنوان: الهوية والتقدم، جامعة الزيتونة، المعهد الأعلى لأصول الدين، تونس، أبريل، 1993م.

محمود أبوالعنين، **إدارة وحل الصراعات العرفية في إفريقيا**، ط1، الدار الجامعية للنشر والتوزيع والطباعة، ليبيا، 2008م.

محمود عبدالواحد عبدالحليم، **القضايا الاجتماعية والسياسية في روايات سعيد أحمد محمد "دراسة نقدية"**، رسالة ماجستير، قسم اللغات الإفريقية، كلية اللغات والترجمة، جامعة الأزهر، القاهرة، 2017م.

هارلمبس، هولبورن، **سوشيولوجيا الثقافة والهوية**، ترجمة حاتم حميد محسن، دار كيوان

للطباعة والنشر، دمشق، سوريا، 2010م.

وائل نبيل إبراهيم عثمان، **الهوية الثقافية في شعر شعبان روبرت**، بحث منشور في المؤتمر الدولي "التنمية الثقافية المستدامة وبناء الإنسان" ، المجلس الأعلى للثقافة، وزارة الثقافة، القاهرة، يناير 2019م.

ثانياً: المراجع الأجنبية

Francis Gichini Gichohi**, UTAMBULISHO WA MWANAMUME KATIKA METHALI ZA JAMII YA AGIKUYU,** Shahada ya Uzamili Katika Kiswahili, Chuo Kikuu cha Egerton, NJORO, Aprili, 2018

Kihore, Msanjila, Y. P, , Y. M na Massamba, D. P. B.: ***Isimujamii: Sekondari na Vyuo,*** Dar es Salaam: Taasisi ya Uchunguzi wa Kiswahili,2009.

*Mdee, James Salehe na wengine, **Kamusi ya Karne ya 21**, Nairobi, Longhorn Publishers, Chapa ya kwanza, Toleo la pili,2011*.

Mohamed, Said Ahmed: **Jicho la Ndani**, Longhorn Publishers, Nairobi, 2002.

Munyao, Meshack Kimeu: **Uhuru wa Kishairi Katika Utunzi wa Mashairi: Uchanganuzi wa Sikate Tamaa Na Miale Ya Uzalendo**, tasnifu ya kutosheleza baadhi ya mahitaji ya uzamili katika Kiswahili, idara ya Kiswahili na lugha za kiafrika, chuo kikuu cha Kenyatta, Nairobi, Kenya,2011.

Ndalu, Ahmed E. na wengine, ***Kamusi Teule ya Kiswahili***, Toleo la Kwanza, Focus Publications Ltd, Kenya, Nairobi, 2014.

Prosper Theophil, **Matumizi ya Lugha Na Utambulishi Wa Jamii Ya Wahaya Yaishio Dar Es Salam**, Tasinifu ya M.A. Kiswahili, Chuo Kikuu cha Dar es Salaam ,Septemba, 2012.

K.W.Wamitila, **Kamusi ya Fasihi Istilahi na Nadharia**, Focus Publications Ltd, Nairobi, Kenya, 2003.

Yohana P. Msanjila, ***UTATA WA KUTUMIA LUGHA KAMA KIBAINISHI CHA UTAMBULISHO WA MZUNGUMZAJI***, SWAHILI FORUM 18, 2011.

Zubeir, Zuwena Sulieman: **Etimolojia Ya Majina Ya Mahali Ya Kaskazini Pemba Kuwa Utambulisho Wa Utamaduni Wa Wapemba,** Tasnifu ya uzamili (M.A KISWAHILI - ISIMU) ya Chuo Kikuu Huria cha Tanzania, 2015.